الشيوعية بين المادية والمثالية

بقلم : الدكتور سري نسيبة

> الآراء المنشورة في هذه الصفحة تعبر عن وجهة نظر أصحابها

مجرد رأي

بقلم
الشيخ جميل السلحوت

فماذا ما رأى اطفالنا واهلنا تصرفات هذا البعض المتغطرس من معلمينا فماذا ستكون ردود الفعل عندهم .

ان المعلم او اي انسان آخر يتعالى عن شعبه ومفاهيمه وقيمه واخلاقه وتراثه انما يمثل هذا التعالي الذي يعتبر انسلاخا عن جذور شعبنا الاصيلة والعميقة في هذه الارض انما يخون مهنته المقدسة وقد تعزى تصرفات هذا البعض من المعلمين الى الجهل الذي يغرق فيه ويفترض في المعلم الناجح ان يكون متفتحا ومتواضعا كي يستطيع ان يتعامل مع طلابه خصوصا في مراحل الطفولة المبكرة والتي كثيرا ما يتأثر خلالها الطفل بشخصية وتصرفات معلمه .

وفي النهاية نقول الى مثل هؤلاء المعلمين : ـ طوبى لمن قال "رحم الله امرءا عرف قدر نفسه" .

يقال ان الفلسفة الشيوعية فلسفة مادية . ويقال ايضا ان كل فلسفة غير مادية هي فلسفة عقيمة . اذا انها مادية يعني بالتحديد انها مادتها من امور حياتية / مثالية او من امور غيبية . والهدف من قولنا ان كل فلسفة غير مادية هي فلسفة عقيمة هو ان الفلسفة الشيوعية لانها مادية ، لا يمكن اعتبارها كأنها تعاني من ذلك العقم ، بل يجب اعتبارها وكأنها فلسفة فاعلة ، بل وكأنها الفلسفة العملية . لكنه يبدو لي وقد اكون مخطئا ان الفلسفة الشيوعية اما فلسفة تجريدية (وليست عقيمة) واما فلسفة عقيمة (وليست تجريدية) . فان كانت تجريدية ، ولم تكن عقيمة ، لن تكون كل الفلسفات غير المادية عقيمة وان كانت عقيمة ، ولم تكن تجريدية ، لا تكون بذلك فلسفة فاعلة .

واقول ما اقوله اعتمادا على مسألة القيم الاخلاقية ، فان هذه تكون اما مثالية ـ اي لا تكون بالضرورة من امور ذهنية تحاذي التقاليد السارية في المجتمع ـ واما مادية ـ اي تكون بالضرورة من امور ذهنية تطابق التقاليد السارية في المجتمع . فان كانت قيم اية فلسفة سياسية قيما مثالية ، يكون هنالك حينئذ حافز للعمل السياسي الايجابي ، اذ تكون هنالك محاولة لتغيير التقاليد السارية في المجتمع وجعلها تقاليدا تطابقها القيم المثالية ، كما يفرض ذلك حيز الامكان ـ اما وان كانت قيمها مادية فعلى الاقل لن تكون تلك القيم هي الحافز على العمل السياسي الايجابي وبما ان من الصعب جدا تحمل حوافز غير اخلاقية للعمل الاساسي في اطار تلك الفلسفة ، تكون تلك الفلسفة فلسفة عقيمة .

ولنوضح ذلك ، فلنفترض على سبيل المثال وجود وضع حياتي شيوعي في مكان ما ، يقارن وجود قيم اخلاقية معينة ، ولنفترض ايضا ان تلك القيم ما هي الا اعتقادات في عقول الناس مطابقة ، بوجه ما ، لتقاليدهم الحياتية . فان سألنا الآن ، هل قيم ذلك المجتمع افضل من قيم مجتمعات اخرى ام لا ؟ سوف نجد انفسنا في حيرة امام الاجابة . اذ اننا ان قلنا ان هذه القيم افضل تكون بالضرورة نعني احد امرين : اما انها افضل على المستوى التجريدي ، بمعنى اننا نستطيع وعبر التجريد ، ان نجد فروقا ما بين فكرة اخلاقية واخرى ، وبغض النظر عن الاوضاع الحياتية الحاصلة . واما انها افضل بالقياس الى الوضع الحياتي الشيوعي الذي نقارنه . فاما الامر الاول ، فليس بامكاننا اعتباره ، اذ اننا قد جزمنا بمادية هذه القيم الاخلاقية في هذا الصدد . واما الاحتمال الثاني ، فانه يبدو مجردا من المعنى ضمن هذا الاطار ، وذلك للسبب الآتي : ان قولنا ان القيم الاخلاقية هذه افضل بالقياس الى الوضع الحياتي الذي نقارنه يعني ان الوضع الحياتي الذي نقارنه وبحسب رأينا ، وضع افضل . لكننا ان قلنا ذلك ، لا يمكن ان نعني الا احد امرين : اما ان هذا الوضع افضل لان القيم الاخلاقية السائدة فيه والممارسة تحت ظله هي قيم افضل ، وفي هذه الحالة فانه يلزم علينا الدور (اذ اننا بدأنا بتقييم القيم بالقياس الى الوضع ونحن الآن نقيم الوضع بالقياس الى القيم) .

واما ان هذا الوضع افضل لانه يشكل زمنيا نهاية لتطور الصراعات ما بين القوى الاقتصادية في بلد ما ، او في العالم كله . وفي هذه الحالة تكون صحة ما نقوله مستندة الى صحة القول بأن نهاية كل عملية على الاطلاق تكون مراحلها من اوضاع بينيتها صراعات قوى اقتصادية (او غيرها ان اردنا ذلك) ـ ان هذه النهاية تشكل ذروتها الفضلى . لكننا نستطيع تصور نهايات لعمليات اقتصادية شتى تشكل اسوأ مراحل تلك العمليات ، ونستطيع ، وبشكل اعم ، ان نتصور نهايات سيئة لعمليات بلغت ذروتها ، وتجسدت في اشكالها الفضلى ، اما في ابتدائها او في ابد مرحلة من مراحلها . وبمعنى آخر ، فان نهاية الشيء لا تشكل بالضرورة وضعه الافضل . وبما ان هذا هكذا ، فاننا لا نستطيع التأكد من صحة قولنا ان الوضع الحياتي الشيوعي افضل لمجرد انه يشكل زمنيا نهاية لتطور الصراعات ما بين القوى الاقتصادية في مكان ما .

فان لم نستطع الجزم بأن الوضع الحياتي الشيوعي افضل من غيره ، وحتى ولو استطعنا الجزم بأنه ، وبالرغم من ذلك ، يشكل وبالضرورة نهاية المطاف بالنسبة لصراعات القوى الاقتصادية ، فانه لا يمكننا الاقتناع بأن نسعى ايجابيا لتحقيق ذلك الوضع ، كما انه لا يمكن لمعظمنا الاقتناع بأن ... لتحقيق موتهم ـ ... الحتمية . وان لم يمكننا ذلك ، فلن يكون عندنا ... الكافي ... من يقول بأنه ... علينا ان نعرقل هذه ... الوضع الحياتي الشيوعي ... نحاول ان نتفادى ... استضافة الموت . وبمعنى آخر ... موازنة الامر من الناحيتين ... المقدرة بالاقتناع لترجيح ... تجرد الفلسفة الشيوعية من ... وتجعل منها فلسفة عقيمة .

الا انها ليست بالضرورة ... هي كذلك فقط لاننا اعتبرناها ... مادية ، واعتبرنا قيمها الاخلاقية لذلك السبب ، قيما مادية ... قد نقر بحتمية التاريخ من ... وتتمثل بقيم اخلاقية نعتبر ... مطابقتها للواقع اكثر احتمالا ... الوضع الحياتي الشيوعي من ... اخرى . الا ان فلسفتنا ، في ... الحالة ، تكون فلسفة تجريدية ... مثالية ، لان تفضيلنا لبعض ... الاخلاقية دون الاخرى يجب ... يستند الى ميزان تجريدي ... والافضل في كف مثل هذا الميزان ... ما نعتبره الامثل . وحينئذ ... القرار بالنسبة لانبة الفلسفة ... يصبح قرارا من الممكن اتخاذه ... على الصعيد التجريدي ، واعتمادا على ما هي القيم الاقرب ... بالفعل ، وليس بالقياس الى ... نعتبره نحن .

بقلم : ـ
عصام عبدالله أبو ال...
سجن الخليل

إيران يلفها الضباب

القسم الاول

قبل التحدث عن ابعاد الثورة الايرانية لا بد من الاشارة الى تلك الاراء التي تحاول اضفاء طابع ديني على الثورة الايرانية ، واهمال المضمون الاجتماعي الصارخ الذى ميزها والذى يغني عن التوقف كثيرا عند هذه المسألة التي لا تحتاج اية اثباتات .

وليعلم الثوريون ايضا بأن الثورة ليست مجرد ترويج اعتباطي مفتعل للجمل الطنانة ، بل اعداد منتظم ودؤوب بعيدا عن نزف "المثقفين" وارهابيتهم الفردية ، وبعيدا عن اماني البرجوازية الصغيرة ونواياها الساذجة ، حيث كانت الثورة الايرانية تتويجا لاعداد هائلة من التراكمات .. ومن النضالات الجزئية الصغيرة ، والتي لا تساوى شيئا اذا ما اخذت بمفردها .. وملخص القول ان نظام ايران الاوتقراطي قد دفع جماهير ايران للثورة وهذه بدورها ، احسنت اغتنام الفرصة .

لقد دخل نظام شاهنشاه في تناقض مستعصي ، مع مصالح مجموع فئات الشعب الايراني ، باستثناء فئة ضيقه تتمثل في الفئات الكومبرادورية ، والطغمة العسكرية والبيرقراطية ، هذه الفئات التي شكلت ولأمد طويل ركائز حكم الشاه طيلة سنوات حكمه : اما على الصعيد العملي فقد تجسدت طبيعة هذا التناقض في سعي النظام للقيام بدور مخفر امبريالي في المنطقة ، وارهاق الشعب الايراني بالنفقات الباهضة لهذا الدور (الاسلحة ، المستشارين ، الجيش ،) مما جعل من ايران سوقا رابحة لصناعات الاسلحة الغربية ، في الوقت الذى كانت فيه الصناعة الايرانية تحبو على اربع ، وهي في معظمها صناعات استهلاكية معدة لتكون مرتبطة بالصناعات الاجنبية ومتممة لهـا .

اما الزراعة الايرانية فكانت بدائية لم تسمع بالقرن العشرين ، كما ان طابع الملكية الاقطاعي ، والاقطاعي المستور وقف كابحا تطويرها ، مما بدد "ثورات" الشاه البيضاء ، هذه الثورات التي تم اسقاطها من اعلى بمرسومات امبريالية ، وتم تطبيقها باصلاحات ترقيعية ، ناسين ان التحولات الكبرى في حياة الشعوب لا تحلها الا القوة ، والمهم ان كل هذه الاجراءات التي اريد لها ان تخدر يقظة شعب ايران وحاجاته المتنامية قد تهاوت امام الاف الصور القمعية التي كانت تمارسها الزمرة الحاكمة ، وهكذا فقد اضيف للظروف المعيشية البائسة ارهاب بوليسي ، من تعقب واعتقال وتشريد وتعذيب ، وقمع لابسط اشكال الحرية السياسية ، وفرض رقابة صارمة على الصحافة .. كما تم فتح الاسواق الايرانية بوجه الاستثمارات الاجنبية بكل ما يترتب على ذلك من ضعضعة لاقتصادها الوطني ، وثرواتها البترولية التي كانت في ايدى الاف الخبراء الاجانب ، والالاف المؤلفة من المدربين ، ورجال الامن من عملاء C.I.A ، حتى اصبحت ايران اشبه بالكهف الذى يأوي اليه اللصوص آخر الليل .

وهنا فمن الطبيعي ان الميزانية الايرانية لم يكن باستطاعتها ، ان تملأ كل هذه الجيوب التي تنتفخ باستمرار ، وبدأت تبرز حاجات ملحة لتوسيع مصادر دخل الزمرة الحاكمة وفي حينه كانت مثل هذه الازمات تجد لها حلا مؤقتا من عرق الشعب ، وبسرقة المزيد من امواله ، وبتقليص الميزانية المخصصة للكثير من احتياجاته الاساسية .

وفي النهاية فقد وجد الشعب الايراني ان سهام الامبراطورية تنغرس عميقا في جسده ، وشعر بأن حفاظه على حياته لن يتم الا اذا اتخذ اجراء ما لذلك . وهذا هو بالضبط الوضع الثورى الذي لا بدمنه لكل ثورة : فمن جهة لم يعد بمستطاع الطبقة الحاكمة ان تستمر في حكمها بنفس الطريقة السابقة ، وحدث في صفوفها تصدع نتيجة اطماعها وتنافسها على النهب والسلب .. ومن جهة اخرى لم يعد بمستطاع الشعب ان يحتمل اكثر ، فلا القاعدة تستطيع العيش كما في السابق ، ولا القمة تستطيع الاستمرار في حكمها كما في السابق ايضا .

ولكن ليس كل وضع ثورى يتمخض عن ثورة انما يجب ان تتوافق التطورات الموضوعية هذه مع تطور ذاتي ، أي قدرة الطبقات التي تعاني من النهب على القيام باعمال ثورية تزعزع الحكم القديم فما هي اذن طبيعة الثورة الايرانية وقواها المحركة ؟ ان تأثير الحكم المطلق لم يكن لينحصر في طبقة بعينها انما كان يثقل على البرجوازية الناشئة ، ويحبط طموحاتها في التطور المستقل بعيدا عن منافسة الاحتكارات الاجنبية ، وكذلك على شرائح واسعة من الفلاحين والبرجوازية الصغيرة والمثقفين الليبراليين ، هذا اضافة الى الطبقة العاملة التي يقع على عاتقها العبء الاكبر .

وبما ان معاناة هذه الفئات متفاوته ، فان ثوريتها واستعدادها للتضحية متفاوتان ايضا ، كما ان الارهاب البوليسي كان يرهق باعبائه كل الفئات المذكورة اعلاه ، مما اوجد ظروفا ملائمة لقيام تحالف يجمع هذه الفئات حول برنامج حدادني ، هذا البرنامج الذى حدد طبيعة الثورة الايرانية .. ان الدور التاريخي الذى تحدد للثورة الايرانية بصورة عفوية وبسبب ظروفها الاقتصادية والاجتماعية ، هي ان تكون ثورة ديمقراطية لتحقيق الحرية السياسية بطريق الانتفاضة الشعبية الذى يجب ان يكون جهازها جبهة وطنية متحدة ، تضم الفئات المذكورة اعلاه .

ان هذا الانقلاب من حيث محتواه الاقتصادى لا يعدو كونه ثورة برجوازية ، وبالتالي فان الحرية التي سيحققها هي حرية برجوازية ، وطبيعي ان مثل هذا الانقلاب سيعزز سيطرة البرجوازية ويرسخها ، ولن تفتأ البرجوازية عن سلب مكتسبات الطبقة العاملة وتحجيمها ، وبديهي انه حتى تكون الحرية السياسية كاملة كان لا بد من الاستعاضة عن الاوتقراطية ، بالديمقراطية البرجوازية ، مما سهل من التفاف مجموع فئات الشعب الايراني حول شعار "اسقاط الشاه" وانهاء الحكم الملكي لان الجماهير ادركت بغريزتها الثورية ، ان كل الانجازات التي تسفر عنها "تنازلات الشاه" ستبقى على كف عفريت طالما بقي الجذر قائما ، وسيغدو من السهل الالتفاف عليها بعد ان تهدأ جذوة الانتفاضة .

ولهذا كله رفضته الجماهير الثائرة انعم مظاهر الاوتقراطية واكثر تنازلاتها اغراء ، رغم تأرجحات البرجوازية التي بقيت حتى وقت متأخر ميالة للمساومة مع الشاه وتميل الى مطلب تحقيق ملكية دستورية ، المهم ان ثورية الجماهير وتطور الاحداث اضافة الى ضعف وتهلهل معسكرات الشاه قد اجبر الكثير من الفئات على ركوب موجة الثورة هذه الفئات التي تملك ... استشعار تجيد تماما تحسس مصالح... وهي لذلك اختارت مضطرة ان ... الثورة . ومن هذه الفئات بعض ... الشاه وخدمه المخلصين والذين ... يكونوا ايام السلم يجرؤن على ... عصا الطاعة لولي نعمتهم ، وهذا ... جعل من شعار اسقاط الشاه ... فضفاضا ترفعه فئات متباينة ... والاتجاهات .

ـ يتبع ـ

استهلاك الخبر

يجيد الكثيرون في بلادنا ... الاخبار وحفظها عن ظهر قلب ... وهذا امر ايجابي ومؤثر ... الاهتمام بما يحيط بنا من متغيرات ...

ولكن هل نكتفي بسماع الاخبار ... وترديدها وحفظها لتكون زادا ... مجالسنا ؟؟ .

انه لمن المفرح ان ... الكثيرين يجيدون تحليل الاخبار ... وربطها بعضها ببعض ومحاولة ... واستخلاص نتائجها . فوضوح الرؤية ... هنا امر حسن وهام ايضا . ولكن ... اليس من الافضل للبعض ان يتحول ... من "مستهلكي" اخبار ... الادمان الى "صانعيها" . وهذا ... يتأتى الا من خلال العمل ... وكخطوة اولى على هذا الطريق ... يجدر بأن تتحول زيارات ... والمضافات الى زيارات عمل ...

فريد ...